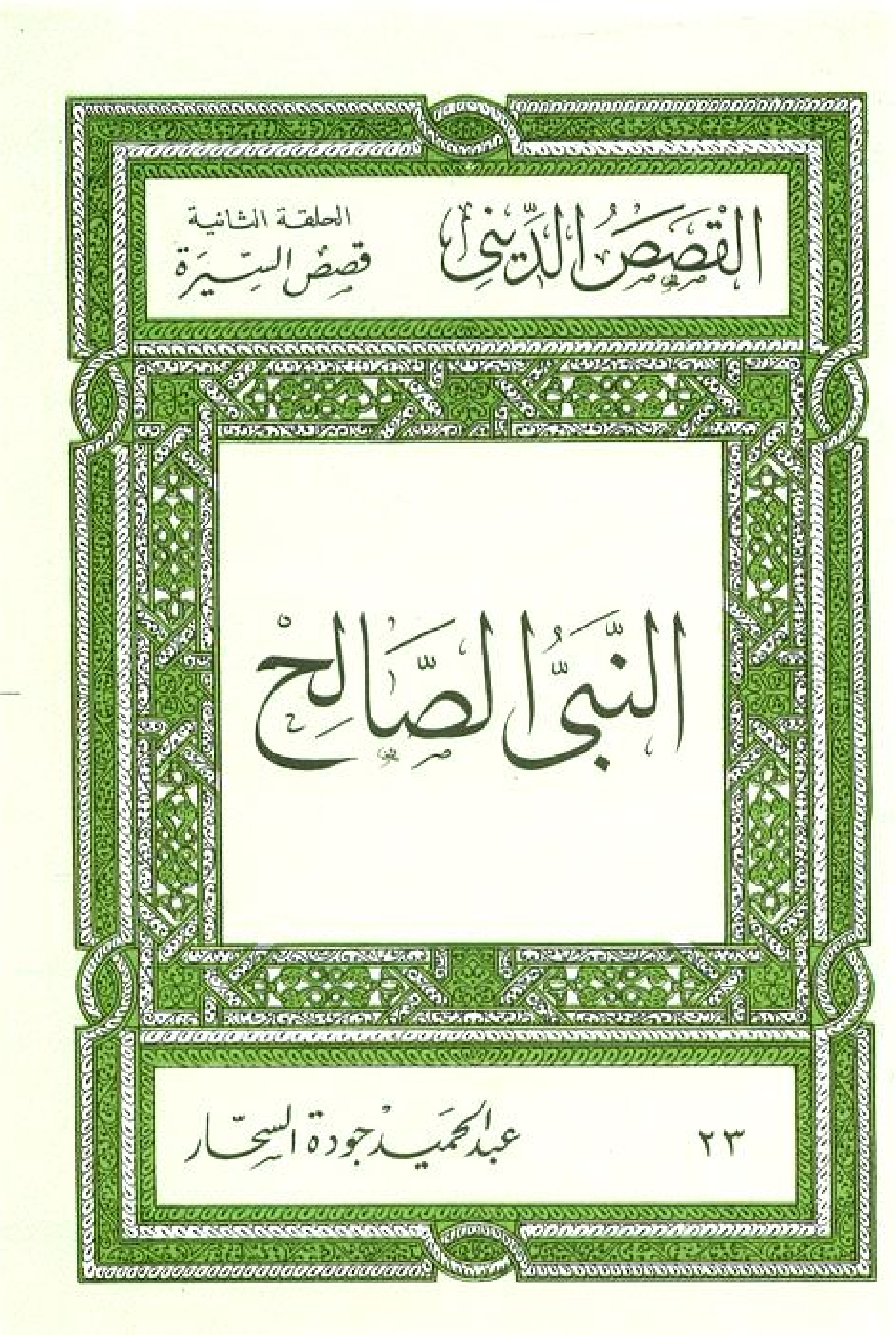

القصص الديني
الحلقة الثانية
قصص السيرة
النبي الصالح
عبد الحميد جودة السحار
٢٣

١

قَدِمَ رسولُ اللّه ﷺ إلى المدينة ، فجـاءَ رجـلٌ من الأنصار وفى يده غُلام ، وقال له :

ــ يـا رسـولَ اللّـه ، إنَّ أَنَسـاً غُـلامٌ كَيِّـس ، فليخدُمْكَ .

فَراحَ أنـسٌ يخدُمُ النبىَّ فى سَفَرِهِ وفى إقامَتِه ، فيزدادُ حُبًّا له ؛ كـان رسولُ اللّـه ﷺ رحيمًـا بـه شَفِيقا ، وفى ذاتِ يوم ، أرسلَه رسولُ اللّه لحاجة ، فخرَجَ أنَـس ، ومرَّ على صِبيانٍ وهـمْ يلعَبونَ فى السُّوق ، فوقَفَ يلعَبُ معهم ، ولم يذهـبْ إلى حيثُ أمَرَهُ رسولُ اللّه ﷺ .

ومرَّ الوقت ، وخرجَ رسولُ اللّه إلى السُّوق ، فرأى أنسًا يلعب ، فذهَبَ إليه ، وقَبَضَ بِقَفاهُ من ورائِه ، فنَظَرَ أنَسٌ خائِفا ، فرأى رسولَ اللّه يضحك ، ويقول له :

ـ يا أنَس ، ذهَبْتَ حيثُ أمَرْتُك ؟

فقال له أنس :

ـ نعم ، أنا ذاهبٌ ، يا رسولَ اللّه .

وذهبَ أنس ، ولم يَنهَرْه النبيُّ ﷺ . لقدْ خَدَمَه أنسٌ تسعَ سِنين ، وما قالَ له لشيء صنعَه : لِمَ صَنَعتَ هذا ؟ ولا لشيء لم يصنَعه : لِمَ لمْ تصنعْ هذا ؟ وإذا لامَ أحدٌ من أهلِهِ أنَسا ، قال له :

ـ دعُوه ، لو قَدَرَ أن يكونَ كان .

فقدْ كان رسولُ اللّه ﷺ أحسنَ الناسِ خُلُقا .

## ٢

وكانَ رسولُ اللّه ﷺ رحيما ؛ يرحَــم الضُّعَفـاء ، ويُحِبُّ الأطفال .... حتّى إنّه كان يخرُجُ إلى النّـاس ـ إذا جاءَ أوانُ الصَّلاة ـ وعلى عاتِقِه طِفلٌ أو طِفلـةٌ من أبناءِ أصحابِه ، ويُصلّي والطِّفلُ على كَتِفِه ، فإذا ركَعَ وضَعَه ، وإذا رفَعَ رَفَعَه .

وفي ذاتِ يوم ، دخَلَ عليهِ بعضُ الرِّجـال ، وهـو جـالِسٌ وفـي حِجْـرِه الحسَـنُ بـنُ علـيّ ، يضُمُّـه فـي رِفْق ، ويُقَبِّلُهُ في حَنان ، فأنكَرَ الرِّجـالُ منـه ذلـك ، حتّى إنَّ أحدَهم قال :

ـ إنَّ لى عَشرةً من الوَلَد ، ما قَبَلتُ منهم أحَدا !!

فَنَظَرَ إليه رسولُ اللّه ﷺ ، وقال :

ـ مَن لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ .

وقال له أعرابىٌّ فى إنكار :

ـ تُقَبِّلونَ الصِّبيان ، فما نُقَبِّلُهم !!

فقال له رسولُ اللّه ﷺ :

ـ أوَ أمْلِكُ لكَ أنْ نَزَعَ اللّهُ من قلبك الرَّحمة ؟

كان رحِيما ، حتّى إنّه كانَ يأخُذُ أُسامةَ بنَ زيـد ؛ ابنَ مَولاه ، فَيُقعِدُه علَى فَخذِه ، ويُقْعِدُ الحَسَنَ علـى فخذِه الأخرى ، ثمَّ يضمُّهُما ، ثمَّ يقول :

ـ اللّهُمَّ ارحَمهُما ، فإنّى أرحَمهُما .

٣

وكانَ يَعطِفُ على الحيوان ، ويَحُضُّ المسلِمينَ على العَطفِ عليه ... كان رءوفًا بناقَتِه العَضْبَاء ، وببَغْلَتِهِ دُلْدُل . وكانَ يُوصِي أصْحابَهُ بالحَيَوانِ خَيرا ، حتّى إنّه قال لهم ذاتَ يوم :

ـ بَينَما رجُلٌ يمْشِي بِطَرِيقٍ اشتَدَّ عليهِ العَطَش ، فوجَدَ بئرا ، فَنَزَلَ فيها فشرِب ، ثمَّ خَرَج ، فإذا كلبٌ يلْهَث : ( يُخرِجُ لِسانَه من العَطَش ) ، يأكُلُ الثَّرَى : ( التراب ) من العَطَش ، فقال الرجل :

ـ لقدْ بَلَغَ هذا الكلْبَ من العطش ، مثلُ الذى

بَلَغَ بى .

فَنَزَلَ البئر ، فملأَ خُفَّه ، ثم أمْسَكَهُ بفيـه ، فَسَقَى الكلب ، فَشَكَرَ اللّه له ، فغفرَ له .

فقال أصحابُ الرسول :

- يا رسولَ اللّه ، وإنَّ لَنا فى البَهائِم أجْرا ؟

فقال لهم ﷺ :

- فى كُلِّ ذاتِ كَبِدٍ رَطبَةٍ أجـر ( أى فى كـل ما تَدِبُّ فيه الحياة ) .

## ٤

وكان رَءُوفًا بالضُّعَفاء ، يأمُرُ أصحابَـه بِرعـايَتهم ؛ وفى ذاتِ يوم ، جاءَ إليه رجُلٌ يشكو مـن أنَّـه

لا يَستَطيعُ أن يُصلّيَ فى جماعةٍ مع الناس ، لأنَّ الإمامَ يُطِيلُ الصَّلاة ، وهو ضَعِيفٌ لا يستطِيعُ أن يَحتَمِلَ الوقوفَ الطَّويل ، والرُّكوعَ الطَّويل ، قال الرَّجُل :

ـ يا رسولَ اللّه ، أكادُ أتْرُكُ الصَّلاة ، مما يُطَوِّلُ بنا فُلان .

فَغَضِبَ النبيّ ، فهو ما جاءَ إلا رَحمةً للنّاس ، وما كان يقبلُ أن يُعذّبَ الضُّعَفاءُ الرّاغبونَ فى صلاةِ الجماعة ، فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ يا أيُّها النّاس ، إنّكم مُنَفِّرُون ، فَمَنْ صلّى بالنّاس فلْيخَفِّف ؛ فإنَّ فيهم المريضَ ، والضَّعيفَ ، وذا الحَاجَة .

٥

وكان رسولُ اللّه ﷺ كريما ، فكان إذا وجَدَ مُحتاجًا أرسَلَه إلى بلال ، وكان خازنَه ، ليطعِمَه ويكسُوَه ، وفىَ ذاتِ يوم ، دخل رسولُ اللّه ﷺ على بلال ، وعِندَه صُرّةٌ من تَمْر ، فقال له :

ـ ما هذا يا بلال ؟

فقال له بلال :

ـ يا رسولَ اللّه ، ادَّخرتُه لك ولِضيفانِك .

فقال له رسول اللّه ﷺ :

ـ أما تَخشَى أن يكونَ له بُخارٌ فى النَّار ؟ أنْفِقْ بِلالُ ولا تَخْشَ من ذى العرشِ إقلالا .

وكان يُعطِي السَّائِلينَ مُستبشِرا ، لا يَنهَرُهم وإن آذَوه . كان يَمشِي مرَّةً مع خادِمِه أنَسِ بنِ مالِك ، وكان على النبيِّ ﷺ رِداءٌ غَلِيظُ الحاشِيَة ، فجاءَ أعْرابِيّ ، وجَذَبَ رِداءَهُ جَذْبَةً شديدة ، أثَّرَتْ فى عُنُقِ الرَّسولِ وآلَمْته ، وقالَ الأعرابىّ :

ـ يا محمد ، مُرْ لِى من مَالِ اللّه الذى عِندَك .

فالتَفَتَ إليه رسولُ اللّه وهو يضحَك . لم يَثُرْ ولم يَغْضَب ، وأمَرَ للرَّجُلِ بِعطاءٍ حَمَلَه وانصَرَف شاكرا .

وكانَ لا يَرُدُّ سائِلا ، ولا يَتْرُكُ مُحْتاجًا دونَ أن يُعاوِنَه ؛ خَرجَ يومًا ومَعَه عشرةُ دراهم ، فذهَب واشترى قَمِيصًا بأربعةِ دراهِم ، فخرجَ وهو عليه ، فإذا رجلٌ من الأنصارِ يأتِى إليه ، ويقول :

ـ يا رسولَ اللّه ، اكْسُنِى قميصا ، كساكَ اللّه من ثِيابِ الجَنّة .

فَنَزَعَ القميصَ فكساهُ إياه ، ثم رجَعَ واشترى قميصًا بأربعةِ دراهِم ، وبَقِى معه دِرهَمان ، وسارَ وإذا بجاريةٍ فى الطَّريق تبكى ، فقال لها :

ـ ما يُبكيك ؟

فقالت له وهى تبكى :

ـ يا رسولَ اللّه ، دفع إلىّ أهلِى دِرهمَين أشترِى بهما دَقِيقًا فَهَلَكا ( فُقِدا ) .

فدَفَعَ إليها رسولُ اللّه ﷺ الدِّرهَمَينِ الباقِيَين ، وهَمَّ بالانصِراف ، فإذا بها تَبكِى ، فدعاها وقال لها :

ـ ما يُبكيكِ وقَدْ أخَذْتِ الدِّرهَمَين ؟

فقالت :

ـ أخافُ أن يَضْرِبُونِى .

فَمَشَى معها إلى أهلِها ، حتى إذا أتاهُم قال :

ـ السَّلامُ عليكم .

عَرَفُوا صوتَه ، فَلَم يَرُدُّوا . فقالَ مرةً ثانية :

ـ السلام عليكم .

فَصَمَتُوا ولم يُجِيبُوا . فقالَ مرةً ثالثة :

- السلام عليكم .

فقالوا فرحين :

- وعليكَ السَّلام .

فقال لهم : « أسَمِعتُم أوَّلَ السَّلام ؟ » .

قالوا :

- نعم ، ولكنَّا أحْبَبنا أن تَزِيدَنا من السَّلام .

وأقبَلوا علِيه يسألُونَه عمَّا جاءَ به إليهم .

قالوا :

- فما أشخصَك ؟ بأبِينا وأُمِّنا ؟

فقال :

- أشْفَقَتْ هذه الجاريةُ أن تَضْرِبُوها .

فقال صاحِبُها :

- هىَ حرةٌ لوجهِ اللّه ، لِمَمْشاكَ معها .

وانصرَفَ رسولُ اللّه . وهو مُغْتَبِط ، يقول :

ـ لقدْ بارَكَ اللّه فى العشرة : كسا اللّه نبيَّه قميصا ، ورجُلا من الأنصارِ قميصا ، وأعتق اللّه منها رقبة ، وأحمدُ اللّه ، وهو الذى رَزَقَنا هذا بِقُدرتِه .

ومرَّ على رجُلٍ من الأنصار ، وهو يلوُمُ أخاه ، لأنَّ عندَه حَياءً يمنعهُ من أن يفعلَ أشياءَ تُدِرُّ عليه أرباحا ، فقال له رسولُ اللّه :

ـ دَعْهُ ، فإنَّ الحياءَ من الإيمان .

# ٧

كان النبيُّ ﷺ بارِزًا يومًا للناس ، فأتاهُ رجُل ، فقال له :

ـ ما الإيمان ؟

فقال له الرسول :

ـ الإيمان : أن تؤمِنَ باللّه ، وملائكتِه ، وبِلقائِه ، ورُسُلِه ، وتؤمِنَ بالبَعْث .

فقال له الرَّجل :

ـ ما الإسلام ؟

فقال له الرسول :

ـ الإسلامُ : أنْ تَعبُدَ اللّهَ ولا تُشْرِكَ به ، وتُقِيمَ

الصَّلاة ، وتؤتِى الزَّكاةَ المَفْرُوضة ، وتصومَ رمضان .

فقال له الرجل :

ـ ما الإِحسان ؟

فقال له الرسول :

ـ أن تعبُدَ اللّه كأنَّكَ تَراه ، فإنْ لم تَكنْ تَراه فإنَّه يَراك .

فقال له الرَّجل :

ـ متى السَّاعة ؟ ( أى متى تقومُ الساعة ) ؟

فقال له الرَّسول :

ـ إنَّ اللّه عندَه عِلْمُ السَّاعة .

ونظَرَ النَّاسُ فلم يَجِدُوا الرَّجل ، فقال الرَّسول ﷺ :

ـ هذا جبْرِيلُ ، جاءَ يُعلّمُ النَّاسَ دينَهم .